بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 43 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:17\05\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

قال تبارك وتعالى: ﴿وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَريراً (12) مُتَّكِئينَ فيها عَلَى الْأَرائِكِ لا يَرَوْنَ فيها شَمْساً وَلا زَمْهَريراً﴾.

قبل أن نبدأ في شرح الآية الثالثة عشر، هناك شبهة قد تطرأ على الذهن، ولا تختص بهذه الآيات، حاصل هذه الشبهة: أن ما يذكر للجنة من نعم تكون مشتركة مع نعم الدنيا، والتي -في العادة- تذكر في مقام الترغيب والتشويق للعباد نحو الطاعة. وهذا لا إشكال فيه.

لكن باعتبار أن تلك النعم يوجد لها مثيل في الدنيا، فمن النعم التي تذكر في الجنة وفي الآخرة المساكن، الخمر، ومن النعم المذكورة في الآية الثانية عشر لباسهم من حرير. وفي الوقت نفسه الكثير من الناس قد لا يرغبون به ولا يهتمون به، فلا يهمهم أن يكون لباسهم من حرير أو ليس بحرير، وكثير من الناس يتركون شرب الخمر لا لأجل أمر ديني، بل لا يرغبون به.

فلا تكون تلك النعم والعناوين مشوقة ومرغبة للعموم، فهذه الأمور التي تذكر في مقام المجازاة والحث على الطاعة والترغيب بها، المفروض أنها للعموم وليس لفئة خاصة. والحال أن الكثير من الناس قد لا يهتمون في هذه الدنيا بكثير من هذه العناوين.

البعض قد لا يهتم بها زهداً ورغبة لما في الآخرة، وهذا لا كلام فيه، ولا يرد فيه الإشكال. لكن البعض لا يرغب فيها، لا يرغب بالأنهار، لا يرغب باللباس من حرير، لا يرغب الطنافس[1] والسندس وما شابه ذلك. فكيف نجيب عن هذا السؤال؟

[1] البسط التي تحتها خمل.

يظهر في بعض الروايات منها أن هذه الشبهة كانت مطروحة في العصور الأولى، لذا ينقل عن ابن عباس -في بعض الكتب ينقلونها عن ابن عباس عن النبي ﷺ، ولكن الظاهر أن هذا اشتباه، بل هذا كلام لابن عباس- عبارته: (ليسَ في الجنَّةِ شيءٌ مِمَّا في الدُّنيا إلَّا الأسماءُ)[2]. أي عندما نقول لباسهم من حرير هذا يشترك مع لباسهم من حرير في الدنيا في الاسك فقط وإلا الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على وهم أحد.

فإذاً من جهة لا يوجد بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة إلا الاشتراك في الاسم، ومن جهة أخرى نعيم الآخرة متنوع، بحيث يغطي تمام السلائق والاحتياجات. والذي يشهد لذلك قوله وتعالى: ﴿لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فيها ولَدَيْنا مَزيد﴾[3] أي ما يشاؤه الإنسان موجود، وما لا يخطر على باله هو المزيد.

إذا هناك نقطتان ينبغي أن نركز عليهما:

النقطة الأولى: أن نعيم الجنة لا يقاس بنعيم الدنيا، نعيم الآخرة لا يقاس بنعيم الدنيا. وهذه النقطة -مع قطع النظر عن ما ذكره ابن عباس- الآيات والروايات تؤكد هذه الحقيقة. مثلاً في الدنيا حتى تحصل على نعمة المسكن تحتاج إلى جهد كبير، وتحتاج إلى صبر وانتظار، وإذا حصلت على هذا المسكن، فهذا المسكن يعرض عليه الخراب والزوال، وأما مساكن يوم القيامة هي مساكن طيبة، كل هذه المنغصات لا توجد فيها. في الدنيا قد تحصل على مسكن يؤذيك الجار، فتحاول أن تنتقل مكان إلى مكان آخر. أما في خمور الجنة تقول الآية الشريفة: ﴿لا فيها غَوْلٌ ولَا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ﴾[4] أي هذه الآثار تترتب على خمور الدنيا لا تترتب على خمور الآخرة، خمور الآخرة لا تغتال العقول، ولا تترك آثارها السيئة على الإنسان.

وهكذا بالنسبة للأنهار، أنهار الجنة لا تقاس بأنهار الدنيا، أي في بعض أنهار الدنيا يشمئز منها الإنسان أن يقترب من رائحتها أو من منظرها، بينما أنهار الجنة تقول الآية الشريفة: ﴿فيها أَنْهار مِنْ ماءٍ غَيْرِ

---

[2] المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: 3769
[3] ق: 35
[4] الصافات: 47

آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾[5] إذاً ما ذكره ابن عباس يتطابق مع الآيات القرآنية ومع الروايات الكثيرة التي لسنا بصدد التعرض لها.

النقطة الثانية: أن هذه النعم التي ذكرت ليست هي حد الانتهاء، بل الآيات دلت على أنه فيها ما يشاؤون وفيها أزيد مما يشاؤون، كما ذكرنا بعض الآيات في هذا المجال.

إذا اتضح ذلك، نأتي إلى تفسير هذه الآية المباركة، ونقف عند محطات:

المحطة الأولى: إعراب قوله ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ من قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ وهي كما هو واضح منصوبة بالياء، فما هو الوجه في نصبها؟

اختلف علماء في ذلك، لعل الرأي الأكثر شهرة، هو أن تنصب على أساس أنها حال، الحال -كما هو واضح- بحاجة إلى صاحب حال، عندما تقول: جاء زيد راكباً. الذي جاء راكباً هو زيد، فزيد يقال له صاحب الحال.

هنا إذا سألنا هؤلاء، أين هو صاحب الحال؟ ففيها أقوال:

القول الأولى: المفعول به في قوله ﴿وَجَزَاهُمْ﴾ أي جزاهم حالة كونهم متكئين. ولعله هو القول المشهور، ونعلق عليه بعد ذلك لاحقاً.

القول الثاني: ما اختاره الفراء، من أن هذه الكلمة من منصوبة على القطع، وهو النصب على القطع هي مقولة كوفية -أي المدرسة الكوفية تتبنى هذه المقولة- تتبناها في مورد عندما يكون هناك كلمة بحسب المعنى هي نعت. لكن يأتي المتكلم لسبب من الأسباب يقطعها عن النعتية، تارة يقطعها عن النعتية فيرفعها بتقدير هو، لكن هذه الكلمة التي نحن بصددها منصوبة وليست مرفوعة، فيقطعها تارة عن النعتية بالرفع بتقدير أنها خبر لمبتدأ محذوف.

وأخرى يقطعها عن النعتية بتقدير فعل مناسب للمدح أو للذم أو للتفسير أو ما شابه ذلك. فهذا يقال له النصب على القطع.

---

[5] محمد: 15

فإذاً هي منصوبة بفعل محذوف يتناسب مع المقام. وهذا رأي الفرّاء وهو موافق لرأيي الكوفيين.

القول الثالث: أن نجعل هذه الكلمة نعتاً، فتكون تابع من التوابع -ومن أبرز أنواع التوابع هي النعت- والنعت لابد له من منعوت، فتكون نعتاً للجنة ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً﴾ فتكون تابعة للجنة.

أما الوجه الأول، وهو أن تنصب على الحالية، وهذا الوجه هو المشهور، فلابد من تقديم مقدمة، أن الحال يصلح أن يكون من القيود -كما هو واضح- فلو قلت: ما جاء زيد راكباً. ففي الواقع لا أنفي المجيء، بل هذه الجملة تشعر بالمجيء، وإنما تريد أن تنفي مجيء المقيد، المجيء الخاص، المجيء في حال الركوب. فالحال تكون قيداً لعاملها، جاء زيد راكباً، المجيء مقيد بالركوب، لا أن زيد مقيد بالركوب. ما جاء زيد راكباً المجيء المنفي مقيد بالركوب، فإذا جعلنا قوله ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حالاً، وكان صاحب الحال هو المفعول به في قوله ﴿وَجَزَاهُمْ﴾ فالعامل في الحال هو نفس الفعل، والحال تكون قيداً لعاملها، بحسب المقدمة التي قدمناها.

فإذاً هذه المجازاة لهؤلاء الأبرار جائتهم في حالة كونهم متكئين، والاتكاء له ظرف مكاني، ظرفه المكاني لابد أن يكون هو الجنة، فما معنى أن يجزيهم حينئذ جنة؟ إذا كانوا هم في حال المجازاة كانوا متكئين في الجنة، فلا معنى لأن يجازيهم الجنة، فيلزم من إعراب متكئين على الحالية أن تكون المجازاة قد عرضت عليهم في حالة كونهم متكئين في الجنة.

وهذا المعنى باعتقادي يكون ركيكاً، إذاً إعرابها حالاً -كما هو رأي مشهور بهذا التقدير الذي ذكرنا- لا يتناسب مع بلاغة القرآن الكريم وفصاحته.

بقية البحث تأتي.